بَينَ الأَعلام

ومُرجِئَةِ السُّلطَان



أبو فهر المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

بَين الأَعلامِ ومُرجِئَةِ السُّلطان

مجموع لمنشورات قصيرة صدرت مفردة

ربيع أول - ١٤٣٧ هـ

المحتويات

١

قالوا عن شيوخ السلطان!

قال الإمام الجمال ابن عبد الهادي الحنبلي رحمه الله، بعد أن سَرَد أحاديث فَضل السلطان وطاعته:

(العَجَبُ من بعض المُتفقِّهة الفجَرة، يذكرون هذه الأحاديث لكثيرٍ من الظلَمة، ممَّن انغمس في الظلم، وعامَ فيه وسبَح، وأخذ أموال الناس من غير حِلِّها، وقتل النفسَ الحرامَ أكثر من ألفِ مرة بغير حقّ، واستحلَّ أموال الناس، ودماءَهم وأعراضهم.. ويُزيِّن له أنه عادل، ولولا أنت ولولا أنت؛ ليتوجَّه بذلك عنده، ويُنفق سوقَه، فلا كثَّر الله في المسلمين مِن أمثالهم).

وقال أيضًا:

(فالعجبُ كلَّ العجب.. من كلبٍ نجس، لا دين له ولا عقل، ومع ذلك يزعم أنه فقيه، ويدخل على الكفرة الظلمة الفجَرة... ويُزيِّن لهم، ويُحسِّن لهم أنهم على العدل، وأنهم من العادلين!

مع قتل النفس المُحرّمة، وعدم توقِّي دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ومع ذلك.. منهم مَن يُزيّن لهم ذلك، وأنه خير، وأن بعض أئمة الإسلام أباح قتل الثُّلثين في صلاح الثُّلث، ونحو ذلك!

وكلُّ ذلك زورٌ وبهتان، وافتراءٌ على الأئمة، لا حقيقة له ولا أصل!

ومَن عنده إيمانٌ ومعرفة؛ يعلم أنه لا يَحِلُّ قتلُ أدنى نفسٍ مُسلمة لصلاح أحد، كائنًا من كان.. ولو اجتمع أهلُ الأرض على قتْل نفسٍ مسلمة بغير حق؛ أكبَّهم الله به في نارِ جهنم).

انظر: إيضاح طرق الاستقامة في بيان أحكام الولاية والإمامة.

وقال ابن مُفلح رحمه الله، في الآداب الشرعية:

(" قال مُهَنَّا: سألتُ أحمدَ بن حنبل؛ عن إبراهيم بن الهَروي.. فقال: رجلٌ وَسِخ.. فقلت: ما قولُك: إنه وسِخ؟! قال: مَن يَتْبَعُ الولاةَ والقُضاة؛ فهو وسِخ".

وكان هذا رأي جماعة من السلف، وكلامهم في ذلك مشهور؛ منهم: سُويد بن غفلة، وطاوس، والنخَعي، وأبو حازم الأعرج، والثوري، والفُضيل بن عياض، وابن المبارك، وداود الطائي، وعبد الله بن إدريس، وبشر بن الحارث الحافي، وغيرهم).

٢

وَلِيُّ الأَمْر... الصَّنَم العَصرِي!

إن أخطر ما يَعتنق هؤلاء المُسبّحون بحَمد الحُكّام؛ ليس مجرد الدعوة إلى طاعة ولي الأمر، كلَّا.. إنها "تألِيه وتقديس" وليّ الأمر، شاء مَن شاء وأبَى مَن أبَى! فهُو فقط؛ الآمِرُ والنَّاهي، والحَاكمُ والقاضِي، والمَسموع والمُطاع، فلا رادَّ لأمْرِه، ولا مُعقِّب لحُكمه!

إنها صورة مُستَنسخَة، من الكَهنُوت الكَنسِي عند النصارى، لكن بصبغة إسلامية. ذلِكُم الكَهنُوت؛ الذي يَمنح الكاهَن ما شاء من سُلطَات مُطلقَة، دون نظر أو مُراجَعة! فيَعفُو عمَّن يشاء، ويُؤاخِذ من يشاء، يَبطش بمن يريد، ويَحكم بالذي يَهواه، شِعاره الفرعوني (ما أُريكم إلا ما أرَى)..!

قد مَلك رِقابَ الناس، كَرهًا لا اختيارًا، وتسلَّط على حُكمهم وبلادهم وخيراتِهم، باسم الإسلام ووليّ أمر المسلمين!

فباسْمِ وليّ الأمر.. تُراق دماءُ المسلمين هنا وهناك!

وباسمِه.. تُستَحلّ الأعراض والحُرماتُ والأنفُس المَعصومة!

وباسمِه.. يُحمَل السلاحُ على المسلم؛ حرامِ الدم والنفس!

وباسمِه.. يُوالَى المشركون، ويُعادَى المؤمنون المُوحِّدون!

وباسمِه.. تُستباح الحدود، والأموال، والحقوق، والمُمتلكات!

وباسمِه.. تُقاد فتنةٌ بين المؤمنين هنا، وتَشتعل أخرى هناك!

وباسمِه.. يُسجَن العالِم، ويُطلَق العاهر، ويُمكَّن الخوَّان!

وباسمِه.. تُنكَّس راية الحقّ والإسلام، لترتفع راية الباطل والكُفران!

وباسمِه.. تُبَثُّ قنوات الدّعارة، وتُغلق المساجدُ ودُور الطهارة!

وباسمِه.. يُضيَّع الشّرع، وتَطغى حاكميةُ الكافرين على المسلمين!

وباسمِه.. يُحارَب الجهاد، ويُقتلُ المجاهدون، لترتفع رايةُ الصّليب!

وباسمِه.. أصبح المؤمن عدوًّا، والكافرُ حبيبًا وليًّا!

وباسمِه.. تُقسَّم بلادُ المسلمين، وتُهيَّأ للخائنين والكافرين!

وباسمِه.. وباسمِه.. وباسمِه!

فماذا بَقي لله إذًا؟!!

إذا كان نبيُّنا ﷺ، قد نهى عن إطرائِه، وقال:

"لا تُطروني كما أطَرتِ النَّصارى، عيسى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبد!"

ونهى ﷺ أن يُقال: "ما شاء اللهُ وشِئت!"

فكيف بمن نَصَّبوا مُجرِمًا مِن بينهم، ليس له من مُؤهلات وراثة الأنبياء، على أقوامهم؛ إلَّا أنه يدَّعي الإسلام، ويُحسب على المسلمين؟!

كيف أصبح اليومَ إلهًا يُعبَد من دون الله، لمجرّد أنه وَلِيَ أمرَ الناس؟! فما أحلَّه أحلُّوه، وما حرَّم حرَّموه، ولو خالف ما أحلّ اللهُ وحرَّم!

كيف صارت مشيئتُه سابقةً، وإرادتُه مُقدَّمةً؛ وأحكامُه نافذةً على مشيئة الله ومُرادِه وحُكمِه؟!!

ويُقدَّم حُكمُه وتشريعُه، على حُكم الله ورسولِه ودينِه؟!

أفيضيعُ شرعُ الله العظيم، ودِينُه القَويم، وحُكمُه المستقيم، لأجْلِ نفسٍ مَنفوسة، ورُوحٍ مَزهوقة، وآدميٍّ أصلُه من ماءٍ مهين؟!!

والله ما كان هكذا؛ حُكمُ رسولِ الله، ولا حُكمُ خُلفائِه، وأصحابِه!

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]

اللهم إنِّي أبرأ إليك من هؤلاء، ومَن ناصرَهم وعَاونهم، كائنًا مَن كان!

٣

هنيئًا لعلماء الحقّ، وقاتَل الله علماء السوء!

ذكر الذَّهبيّ رحمه الله، حوارًا ما أشقّه وأصعبه، دار بين الإمام الأوزاعيّ، وأحد ملوك وأمراء العبّاسيين!

قد كان كفيلًا بقطع رأس الإمام الأوزاعيّ رحمه الله.. إلا أنه جهر بكلمة الحق عنده، ولم يعبأ بغضَبه وسَوطه!

ثمّ عقَّب الذّهبي قائلًا:

(كان عبد الله بن عليّ – عمّ السفّاح – ملكًا جبارًا، سفاكًا للدماء، صعب المِراس – شديد الشكيمة!

ومع هذا.. فالإمام الأوزاعيّ يَصدَعُه بمُرِّ الحقّ كما ترى!

لا كخلقٍ من علماء السوء، الذين يُحسِّنون للأمراء ما يَقتحمون به من الظلم والعَسْف، ويَقلبون لهم الباطل حقًّا – قاتلهم الله، أو يَسكتون مع القدرة على بيان الحقّ).

انظر: سيَر أعلام النبلاء.



٤

من صفات منافقي الحُكّام، وشيوخ السلاطين!

قال الإمام القَرافي المالكيّ رحمه الله:

(لا ينبغي للمُفتي إذا كان في المسألة قولان، أحدهما فيه تشديد، والآخر فيه تخفيف؛

أن يُفتي العامّة بالتشديد، والخواصّ من ولاة الأمور بالتخفيف!

وذلك قريب من الفُسوق، والخيانة في الدّين، والتلاعب بالمسلمين، ودليلٌ على فراغ القلب من تعظيم الله تعالى وإجلاله وتقواه!

وعمارته باللعب وحب الرّياسة، والتقرّب إلى الخلق دون الخالق، نعوذ بالله من صفات الغافلين).

انظر: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام.

٥

يوم أن كان العالِمُ مَخشيًّا مُهابًا!

ذكر ابن عبد البرّ، في ترجمة "أبو بكر بن عبد الرحمن"، أحد فقهاء المدينة، الذين كان عليهم مدار الفتوى:

(قال عبد الملك بن مروان:

إني لأهِمّ بالشيء أفعله بأهل المدينة، لسُوء أثرهم عندنا؛

فأذكر أبا بكر، فأستحي منه، وأدَع ذلك الأمر).

انظر: التمهيد.

٦

حقيقة كلّ مُلبِّس ومُضِلّ!

في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧٨]

تأمَّل قولَه: "لِتَحسَبوه!!"

إنها عادة وحقيقة كلّ مُلبِّس ومُدلِّس ومُضِلّ،ممَّن يُنسَبون إلى عِلم!

إنه أصالةً وابتداءً.. لم يُحرِّف ويُلبِّس؛ اجتهادًا وحِرصًا على الحقّ!

وإنما لترويج الباطل، وتزيينه عند الخلق!

فيَحسَبه السامعُ حقًّا.. وليس كذلك!

وهذا المُلبِّس يَدري هذا ويَعلَمه؛ بدليل ختام الآية:

﴿ويقولون على الله الكذبَ وهُم يَعلمون﴾ [آل عمران: ٧٨]

حتّى إذا أظهر اللهُ الحقَّ بكلماتِه وأقداره، وقذَف به على الباطل؛

زهَق الباطل.. وافتضَح المُبطِل المُضِلّ!

وربُّك على كلّ شيءٍ قدير!

٧

مَكمَن الداء وأُسُّ البلاء، عند الأفراد والجماعات!

قال ابن تيمية رحمه الله، في الصَّفدِيَّة:

(والإنسانُ قد يَعتقد صحةَ قضيةٍ من القضايا، وهي فاسدة!

فيحتاج أن يَعتقد لوازمَها، فتكثُر اعتقاداتُه الفاسدة).

قلتُ:

وهذا منشأ ضلال فِرقٍ لا تُحصَى، وجماعاتٍ شتَّى، وأعلامٍ وأعيان!

وخذ مثالًا على ذلك: اعتقاد المداخلة والجاميّة ومُقدّسي الحُكّام، في الطواغيت المعاصرين، والحُكّام المُغتصِبين!

فهؤلاء أصَّلُوا أولًا أصلًا فاسدًا، واعتقدوا صحّته، والْتزَموا لوازمَه. وهو: اعتبار ولاية هؤلاء الطواغيت، ولاية شرعيّة، تترتَّب عليها آثارُها!

وبالتالي.. سحَبوا عليهم جميع نصوص وحقوق الحاكم الشرعيّ، كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ، سواءً بسواء!

فالْتزَموا على ذلك الْتزامات فاسدة.. منها:

- ✓ وجوب السمع والطاعة لهؤلاء الطواغيت، وتأويل كلّ مخالفاتهم للشّرع، والْتماس المَعاذير لهم؛ وإن خرجوا عن الملّة!
- ✓ تجريم مُنابذتهم الأمر ولو سرًّا، وحُرمة الخروج عليهم ولو بالكلمة!
- ✓ تبديع وتفسيق كلّ من خالفَهم في هذا الأصل الفاسد، ولو كان عالمًا فاضلًا مُبَـرِّزًا!
- ✓ تسويغ استحلال طواغيتهم، دماء المسلمين تقتيلًا وتذبيحًا وإعدامًا، وكذا الأموال والأعراض.. بحُجّة "وإن ضرب ظهرَك وأخذ مالَك"!

- ✓ تمييع جميع المسائل الشرعيّة الأصيلة، كالولاء والبراء، وتولّي الكافرين ومظاهرتهم على المسلمين، وتعطيل شعيرة الجهاد، ومحاربة أهلها، حتى جعلوا المجاهدين هم الخوارج، بل وجاهدوهم مع طواغيتهم جنبًا إلى جنب؛ كما في اليمن وليبيا!
بينما الْتزموا السّكوت عن انتهاك حُرمات المسلمين ومُقدّساتهم هنا وهناك، والتسليم بسَنّ القوانين الوضعية، وتنحية شريعة ربّ البريّة.. كلّ هذا ليُحاولوا الاتساق مع أصلهم الفاسد، وعدم الوقوع في التناقض زعموا - زورًا وبهتانًا- !
- ✓ حتى وصل بهم المطاف، إلى اعتقاد صحّة ولاية كلّ حاكم ورئيس دولة، ولو كان سكّيرًا عربيدًا، بل ولو كان كافرًا صليبيًّا.. فبعضهم صرّح بصحة ولاية "شنودة" الهالك، إذا تغلّب، والسابقون منهم رأوا وجوب السمع والطاعة لـ "بول بريمر" بالعراق!

➢ فكثُرَت اعتقاداتهم الباطلة، من حيث يشعرون أو لا يشعرون.. كلّ ذلك بناءً على أصلٍ فاسد، وقاعدةٍ باطلة، وانحرافٍ وغُلُوّ!

وكانت النتيجة الطبيعية:

- انتفاخ هؤلاء الطواغيت وعلوّهم، وترسيخ ممالكهم وعروشهم، وجُرأتهم على دين المسلمين وحُرماتهم، بعدما أَمِنُوا على أنفسهم ومصيرهم، وضمنوا صكوك الغفران، متأوّلين: اعْملوا ما شِئتم!
- واستُعمل أمثال هؤلاء المُضلّين - طوعًا وكرهًا رغبًا ورهبًا -؛ ليكونوا أداةً فقط لتشريع وتسويغ مخالفات هذا الطاغوت، وحماية مُلكه، وتلاعبه بالدّين وأهله، وصدّ كلّ محاولة لمنابذته ونقض عرشِه!

وعلى أمثال هؤلاء وأصلهم وقاعدتهم؛ فقِسْ كلّ صاحب منهجٍ منحرف، وطائفةٍ ضالّة، قديمًا وحديثًا..!

فلا تَرى أصل الانحراف والخروج عن العَدل والسلامة؛ إلا بسبب أصلٍ فاسدٍ أصَّلوه، ثم اضطُرُّوا إلى الْتزام كثيرٍ من اللوازم الباطلة، لئلَّا يقعوا في التناقض والتعارض؛ فكثُرت اعتقاداتهم الفاسدة!

وسبيل السلامة:

صَحِّح أصولَك، وثبِّت قواعدَك، ورسِّخ عقائدَك.. ثم انطلِق!

فمِنك البداية.. وعلى الله التمام!

٨

هكذا فتنة العالِم.. متى خالَط الحُكّام!!

ذكر الزّمخشريّ في تفسيره:

(لّما خالط " الزُّهريّ " - من أجلّ صغار التابعين - السلاطين؛

كتب إليه أخٌ له في الدّين:

عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحتَ بحالٍ ينبغي لَمن عَرفك أن يدعو لك الله ويرحمك..!

أصبحتَ شيخًا كبيرًا، وقد أثقلتْك نِعمُ الله، بما فهَّمك الله من كتابه، وعلّمك من سُنة نبيّه..

وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء.. قال الله: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

واعْلم أنّ أيسر ما ارتكَبْتَ، وأخفّ ما احتمَلتَ:

أنك آنستَ وحشةَ الظالم، وسهَّلتَ سبيل الغَيّ؛ بدُنوِّك ممّن لم يُؤدّ حقًا، ولم يترك باطلًا.. حين أدناك!

اتخذُوك قُطبًا تدور عليك رَحى باطلهم، وجسرًا يَعبرون عليك إلى بلائهم، وسُلّمًا يصعدون فيك إلى ضلالهم!

يُدخلون الشكّ بك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهلاء!

فما أيسر ما عمّروا لك.. في جنب ما خرّبوا عليك!

وما أكثر ما أخذوا منك.. في جنب ما أفسدوا عليك من دينك!

فما يُؤمّنك أن تكون ممّن قال الله فيهم:

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩]؟!

فإنك تُعامِل مَن لا يجهل، ويَحفظ عليك مَن لا يَغفل!

فداوِ دينَك.. فقد دخله سُقمٌ، وهيِّئ زادَك فقد حضر السفر البعيد،وما يَخفى على الله من شيءٍ في الأرض ولا في السماء. والسلام).

قلتُ:

فإنّا لله.. ولا حول ولا قوة إلا به!

يتناصحون بمثل هذا، وقد كانت أزمانهم؛ أزمان الدِّيانة والعلم والورع، وكان أمراؤهم يُقيمون العدل والشرع والجهاد – خلا ظُلمٍ يسير!– فكيف لو رأوا ما عليه حُكّام المسلمين اليوم، وقد جاوزا العدلَ إلى الظلم، والإسلامَ إلى الردّة، والأمانةَ إلى الخيانة؟!

والمنتسبون إلى العلم؛ قد صاروا يُسارعون فيهم، بدلًا من الفرار منهم، ويُنافقونهم على حساب دينهم، بدلًا من كلمة حقّ عندهم.. طامعين في حَلوائهم..!

فلا الطواغيتَ كسروا، ولا الإسلامَ نصروا!

❃ورضِي الله عن عليّ، حين قال:

(خذوا العطاء ما كان طُعمةً.. فإذا كان عن دينكم؛ فارفضوه أشدَّ الرفض).

مصنَّف ابن أبي شيبة.

فعَلى مشايخ زماننا فلْتَبكِ البواكي.. ذِلّة ولا حَلوى،وخنوع ولا عطاء!

ورضي الله عن الربّانيين المُحتسبين، وكلّ مَن جَهر بحقّ!

٩

علماء ووُلاة.. بين الأمس واليوم!

ذكر ابن عبد البرّ رحمه الله، في التمهيد:

(قال الفضيل بن عياض رحمه الله:

(ربَّما دخل العالِم على السلطان، ومعه دينه، فيَخرج وما معه منه شيء.. قالوا: كيف ذلك؟!!

قال: يَمدحه في وجهه، ويُصدّقه في كذبِه).

قال ابن المبارك رحمه الله:

(لا تأتهم.. فإن أتيتهم؛ فاصْدُقهم... وأنا أخاف ألا أصْدُقهم).

قال الخطّابي رحمه الله -مُعلِّقًا-، في كتابه العُزلة:

(ليتَ شِعري!

من الذي يدخل إليهم اليوم، فلا يُصدّقهم على كَذبهم؟!

ومن الذي يتكلم بالعدل، إذا شهد مجالسَهم؟!

ومن الذي ينصح.. ومن الذي ينتصح منهم؟!

إنه أسلم لك يا أخي في هذا الزمان، وأحوط لدينك؛ أن تُقِلّ من مُخالطتهم، وغشيان أبوابهم).

قلتُ:

يَرحم الله السادة الأكابر!

الذين بَلغوا من الزهد، والصلابة في الدين؛ مبلغًا كبيرًا مُعظَّمًا!

فابن المبارك على جلالته (متوفَّى: ١٨١هـ).. يخشى على نفسه، منافقة الحاكم ومُداهنته!

والخطّابي على علوّ مكانته (مُتوفَّى: ٣٨٨ هـ).. يرى فساد الأحوال في زمانه، ويرى السلامة بعدم مخالطتهم!

كلّ ذلك.. والخلافة الراشدة قائمة، والأئمة عُدولٌ في الجملة، والعلماء متوافرون، والدّين

مَصون، والحُرمات محفوظة، والإسلام عالٍ!

فكيف اليومَ بنا.. وما آل إليه أمرُنا؟!!

وقد تفرَّق المسلمون أيادي سبأ، وملَكك أمرَهم؛ طواغيت طغاة، أفسدوا عليهم دينهم ودنياهم، وحاربوا الدين، وقتلوا أهلَه، ووالَوا الكافرين أعداء الله ورسوله، وعادَوا أولياءَه والُمجاهدين من عباده، وحَكموهم بغير ما أنزل، وشرَعوا لهم ما لم به يأذَن!

ومع ذلك وأضعافه:

فسد خلقٌ كثير، ممن ينتسبون إلى العلم والدّين، ونافقوا وداهنوا، وآثروا سلامة دنياهم، على جراح دينهم وضياع أخراهم، ومكّنوا للقتلة الفجرَة، وناصروا الطغاةَ الظلمَة، وفرحوا بالمتاع القليل!

ولَيتَ الطواغيت قد اضطروهم لذلك!

وإنما فعلوا.. مُتطوّعين، مُتنفّلين، طامعين، مُتزلّفين!

فإنّا لله.. ولا حول ولا قوّة إلا به!

وله الحمد أولًا وآخرًا.. فلن تخلوَ أرضُه.. من قائمٍ له بحُجَّة!

﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٨]

فاخْتَر لنَفسِك، ولا تَغرنَّك العاجلة.. فانتقامُ الله آتٍ، وكلّ آتٍ قريب!

١٠ـ

كلمةُ حقّ من شكيب أرسلان

في أحد مقالاته بمجلة المنار، منذ قرابة سبعين عامًا

يُوصِّف حالَنا، وحالَ علماء السلطان!

(لقد أصبح الفسادُ إلى حدِّ أن أكبر أعداء المسلمين؛ هم المسلمون، وأن المسلم إذا أراد أن يَخدم مِلَّته أو وطنه؛ قد يَخشى أن يبوح بالسِّر من ذلك لأخيه... أوَ لِمثل هؤلاء؛ يَعِدُ اللهُ العزَّ والنصرَ والتمكينَ في الأرض...؟!! كلما عاتبَهم الإنسانُ على خيانة؛ اعتذروا بعدم إمكان المقاومة... أو بارتكاب أخفِّ الضررين، وجميع أعذارهم لا تتكئ على شيءٍ من الحقّ!

ولقد كانوا قادرين أن يَخدموا مِلتهم بسيُوفهم، فإن لم يستطيعوا؛ فبأقلامهم، فإن لم يستطيعوا؛ فبألسنتهم، فإن لم يستطيعوا؛ فبقلوبهم، فأبَوا إلا أن يكونوا بطانة... وأبَوا إلا أن يكونوا مَطايا...!

وتراهم مع ذلك وافرين، ناعمي البال، متمتّعين بالهناء، وصفاء العيش، وهم يأكلون مِما باعوا من تراث المسلمين، ومما فجَّروا من دماء المسلمين، وينامون مستريحين!

اكتفوا من الإسلام بالركوع والسجود، والأوراد والأذكار، وإطالة السُّبحة والتلوّم في السَّجدة، وظنوا أن هذا هو الإسلام.. ولو كان هذا كافيًا في إسلام المرء، وفوزه في الدنيا والأخرى؛ لما كان القرآن ملآنًا بالتحريض على الجهاد، والإيثار على النفس، والصدق والصبر، ونجدة المؤمن لأخيه، والعدل والإحسان...!

ومن أكبر عوامل تَقهقُر المسلمين؛ فسادُ أخلاق أمرائهم بنوعٍ خاص، وظنّ هؤلاء - إلا مَن رحم ربك؛ أن الأمَّة خُلقت لهم، وأن لهم أن يفعلوا بها ما يشاؤون، وقد رسَخ فيهم هذا الفكر، حتى إذا حاول مُحاوِل أن يُقيمهم على الجادَّة؛ بَطشوا به عبرةً لغيره!

وجاء العلماء المُتزلّفون، لأولئك الأمراء المُتقلّبون في نعمائهم، الضاربون بالملاعق في حلوائهم، وأفتوا لهم؛ بجواز قتل ذلك الناصح؛ بحُجة أنه شقَّ عصا الطاعة، وخرج عن الجماعة!

ولقد عهِد الإسلامُ إلى العلماء؛ بتقويم أَوَد الأمراء، وكانوا في الدُّول الإسلامية الفاضلة، بمثابة المجالس النيابية في هذا العصر، يُسيطرون على الأمّة، ويُسددون خطوات المَلك، ويَرفعون أصواتهم عند طغيان الدولة، ويهيبون بالخليفة فمن بعده إلى الصواب!

وهكذا كانت تستقيم الأمور!

لأن أكثر أولئك العلماء كانوا مُتحققين بالزهد، مُتحلِّين بالوَرع، مُتخلِّين عن حظوظ الدنيا، لا يَهمُّهم أغضِب الملكُ الظالم الجبار أو رضِي.. فكان الخلائفُ والملوك؛ يَرهبونهم، ويَخشون مُخالفتَهم؛ لِما يَعلمون من انقياد العامَّة لهم، واعتقاد الأمَّة بهم!

إلا أنه بمرور الأيام؛ خَلف من بعد هؤلاء خَلْفٌ، اتخذوا العلمَ مهنةً للتعيُّش، وجعلوا الدينَ مصيدةً للدنيا.. فسوَّغوا للفاسقين من الأمراء؛ أشنعَ مُوبقاتِهم، وأباحوا لهم باسْم الدين خرقَ حدود الدين.. هذا والعامَّة المساكين؛ مَخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء، وعُلوّ مناصبهم، يظنون فُتياهم صحيحةً، وآراءهم موافقةً للتشريع.. والفساد بذلك يَعظُم، ومصالحُ الأمة تَذهب، والإسلام يَتقهقر، والعدوُّ يَعلو ويتنمَّر، وكل هذا إثمُه في رقاب هؤلاء العلماء).

قلتُ:

وكأنه يَرى حالَنا، وما صِرنا إليه – عفا الله عنه!

وقائع متكررة، وأحداثٌ مُشابهة، مع اختلاف الأشخاص والمُسَمَّيَات!

لكنَّ العدوّ هو هو، والأدوار هي هي، والمَكرَ نفسُه، والانبطاحَ ذاتُه!

ولازلنا نُكرِّر نفسَ الأخطاء، ويَنطلِي علينا نفسُ الدَّهاء!

فمَتى نُفيق من سَكرتِنا، ونُبصِر عدوَّنا ومُخادعَنا؟!

١١

هكذا كان الأكابر من أهل العلم والحديث!

قال العباسُ الدُّوري رحمه الله:

(كتبَ إلى أبي عبد الله - البخاري - بعضُ السلاطين في حاجةٍ له، ودعا له دعاءً كثيرًا!

فكتبَ إليه أبو عبد الله – البخاري –:

سلامٌ عليك، فإني أحمدُ إليك اللهَ، الذي لا إله إلا هو، أما بعد:

وصل إليَّ كتابُك، وفهمتُه، وفي بيتِه يُؤتَى الحَكَمُ، والسلام).

انظر: سِيَر أعلام النبلاء.

قلتُ:

وكأنَّ حاجة السلطان، كانت تتطلَّب حضورَ البخاريّ عنده!

فأبَى البخاريُّ إلا أن يَحضُر السلطان عنده!

فلِلَّه دَرُّك يا أستاذ الأستاذِين، ويا سيّد المُحدّثين، ويا طبيب علم الحديث في عِلَله..

كم كنتَ عزيزًا مُصانًا!

صُنتَ علمَك، وأعززتَ نفسَك.. فهابَك السلطانُ، وأيَّدك الرحمن!

فكيفَ إذا رأيتَ الأدعياء المُنتحِلين، من أهل زماننا؟!

وقد أهانوا العلمَ وأذلُّوه، وتزلَّفوا به إلى كل حقيرٍ ووضيع!

وجعلوه غرضًا وجسرًا، ليَعبروا عليه إلى دنيا الملوك ودراهمهم.. ولو على حساب دينهم، وحُرمات إخوانهم وأعراضِهم!

فلِلَّه الأمرُ من قبلُ ومن بعد!

١٢

المُحاربة للدِّين وأهلِه بالقَلم واللّسان؛ أشدّ من السلاح والسِّنان!

قال ابن تيمية رحمه الله، في الصارم المَسلول:

(المُحارَبة نوعان: مُحاربة باليد، ومُحاربة باللسان.. والمُحاربة باللسان في باب الدِّين؛ قد تكون أنكَى من المحاربة باليد...!

وكذلك الإفساد.. قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وما يُفسده اللسان من الأديان؛ أضعاف ما تُفسده اليد، كما أن ما يُصلحه اللسان من الأديان؛ أضعاف ما تُصلحه اليد!

فثبَت أن مُحاربة الله ورسولِه باللسان؛ أشدّ، والسَّعي في الأرض لفساد الدين باللسان؛ أوْكد! فهذا... أولَى باسم المُحارِب المُفسِد، من قاطع الطريق).

قلتُ:

فلا يَظننَّ ظانٌّ، أن المُحاربة لدين الله وأوليائه؛ إنما تكون بالسلاح فقط، بل تكون باللسان كذلك، وبالقلَم كذلك، وبالأفعال والأقوال كذلك!

بل وفي زماننا هذا.. قد تَحصل المحاربة؛ بخُطبة جُمعة، ومُحاضرةُ جامعة، وتغريدة أو منشور على مواقع التواصُل وغيرها!

فجميعُ هذه السُّبُل العصريَّة الحديثة على الحقيقة.. رُكنٌ رَكين، ووَتدٌ رَصين؛ لتثبيت بنيان الطواغيت وعُروشهم، ودوام إفسادهم وكُفرهم، واستمرار جَبروتهم وفُجرهم!

وللأسف أصبح هذا حال كثيرٍ، ممَّن يَنتسبون إلى العلم والدِّين!

قد نجحَ الطواغيتُ في استدراجهم، وأحكموا قبضتَهم عليهم لصَيدِهم، حتى صارَ خِطابُ العالِم منهم؛ مُغنِيًا وكافيًا، عن خطاب حُكومات الطواغيت، وبيان وزارات داخليّتهم.. وإنَّا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وقد كان المسلمون أوْلَى بصلاح هؤلاء، وأجدر بعِلمهم وعَملهم، وأحقّ الناس باصطفافهم بينهم ومُناصرتهم.. إلا أنهم آثَروا دنيا الطواغيت وحَلواءَهم، واستَبدلوا الذي هو أدنَى

بالذي هو خير!

وأبوا إلا أن يكونوا سِلْمًا لأعداء الله، حرْبًا على دينِه وأوليائِه!

أعاضَ اللهُ الأمّة خيرًا منهم!

والحمد لله.. لا تَخلو أمّةُ الإسلام من خير، ولا تُحرَم من برَرةٍ أعلام!

فلينظر كلٌّ أين يَقف ويتكلَّم أو يَكتب؟!

ومع مَن يقوم ويَنصُر أو يَخطُب؟!

وفي سبيل مَن يُحارب ويُقاتل؟!

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

١٣

شيوخ الطاغوت.. طواغيت مثله!

❋ قال ابن تيمية رحمه الله، في الفتاوى:

(ومَتى ترَكَ العَالِمُ ما عَلِمَه، من كتاب الله، وسُنَّةِ رسولِه، واتَّبع حُكمَ الحاكمِ المُخالف لحُكم الله ورسِوله؛ كان مُرتدًّا كافرًا، يَستحقُّ العقوبةَ في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿اتَّبِعوا ما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعوا مِنْ دونِهِ أَوْلِياءَ﴾ [الأعراف: ٣]

ولو ضُرب وحُبس وأُوذي بأنواع الأذى، ليدَع ما عَلِمه من شرع الله ورسوله، الذي يجب اتباعُه، واتبَع حُكمَ غيره؛ كان مُستحقًا لعذاب الله.. بل عليه أن يَصبر، وإن أوذي في الله؛ فهذه سُنة الله في الأنبياء وأتباعهم... هذا كله باتفاق المسلمين).

قلتُ:

هذا في حقِّ مَن ألزمَه الحاكمُ كلمةَ الباطل، وكان مما خالفَ حُكمًا واضحًا في الشرع.. فكيف بمَن تنفَّل.. وتطوَّع.. وتصدَّر؟!

فضلًا.. عمَّن نافقَ.. وداهَن.. وتحوَّل!

❋ وقال ابن عثيمين رحمه الله:

(وعلماء السوء الذين يَدْعُون إلى الضلال والكفر، أو يَدْعُون إلى البدع، وإلى تحليل ما حرَّم الله، أو تحريم ما أحلَّ الله؛ طواغيت!

والذين يُزيّنون لولاة الأمر؛ الخروجَ عن شريعة الإسلام؛ طواغيت!

لأن هؤلاء تجاوزوا حدَّهم.. فإن حدَّ العالِم؛ أن يكون مُتبعًا لما جاء به النبي ﷺ؛ لأن العلماء حقيقةً، ورثةُ الأنبياء، يرثونَهم في أمَّتهم علمًا، وعملًا، وأخلاقًا، ودعوةً، وتعليمًا!

فإذا تجاوزوا هذا الحدَّ، وصاروا يُزينون للحُكام الخروجَ عن شريعة الإسلام، بمثل هذه النُّظم؛ فهم طواغيت). انظر: مجموع الفتاوى والرسائل.

❋ **وقال ابن مُفلح رحمه الله، في الآداب الشرعية:**

("قال مُهَنَّا: سألتُ أحمدَ بن حنبل؛ عن إبراهيم بن الهَروي.. فقال: رجلٌ وَسِخ.. فقلت: ما قولُك: إنه وسِخ؟! قال: مَن يَتْبَعُ الولاةَ والقُضاة؛ فهو وسِخ ".

وكان هذا رأي جماعة من السلف، وكلامهم في ذلك مشهور؛ منهم: سُويد بن غفلة، وطاوس، والنخَعي، وأبو حازم الأعرج، والثوري، والفُضيل بن عياض، وابن المبارك، وداود الطائي، وعبد الله بن إدريس، وبشر بن الحارث الحافي، وغيرهم).

قلتُ:

وأمَّا المُكرَه منهم بيَقين، وكلّ مَن كان له عُذرٌ خَفِيّ مُعتبَر؛ فيَلقَى اللهَ بعُذرِه، وهو تعالَى يَتولَّى السرائر، ويَعلم ما تُخفِي الصُّدور!

وأما الصامتون الساكتون:

فليس كلّ سكوتٍ رُخصة.. ولا كلّ اعتزالٍ حُجَّة!

وفي الجملة:

فالصمت والسكوت؛ إنما يكون في مشهدٍ أو موقفٍ أو عارِض!

أمّا أن يصير حالةً مُستقرّة، وعادةً مُستحكِمة - خاصة مع تكاثر المحرمات الظاهرة، بل وظهور النواقض الصارخة للإيمان -؛ فهذا ليس من دين المسلمين!

ولم يكن هذا حال من سكت من السابقين.. فإن صمتهم كان عارضًا في مشهد، وليس وصفًا لازمًا!

وأمّا العلماء المُنكِرون الثابتون:

فهؤلاء الذين اصطفَى الله وعصَم، ولكلٍّ أجرُه على قدْر نُصرتِه للحقّ!

١٤

ابْن حَزم.. يُحاجّ شيوخ السلطان!

فيقول رحمه الله:

(وقال بعضهم: إن في القيام – على الحاكم – إباحة الحريم، وسفك الدماء، وأخذ الأموال...!

فقال لهم الآخرون: كلا، لأنه لا يَحِلُّ لَمن أمرَ بالمعروف، ونَهى عن المنكر؛ أن يهتك حريمًا، ولا أن يأخذ مالًا بغير حق...!

وأما قتلُ أهلِ المنكر الناسَ، وأخذُهم أموالهم، وهتكُهم حريمهم؛ كلُّه من المنكر الذي يلزم الناسَ تغييرُه!

وأيضًا فلو كان خوف ماذكروا، مانعًا من تغيير المنكر، ومن الأمر بالمعروف؛ لكان هذا بعينه مانعًا من جهاد أهل الحرب.. وهذا ما لا يقوله مسلمٌ، وإن دَعى ذلك إلى سبْي النصارى نساءَ المؤمنين وأولادهم، وأخذ أموالهم وسفك دمائهم وهتك حريمهم!

ولا خلاف بين المسلمين، في أن الجهاد واجب مع وجود هذا كلّه، ولا فرق بين الأمرين، وكل ذلك جهادٌ ودعاءٌ إلى القرآن والسُّنة!

ويقال لهم:

ما تقولون في سلطان جعل اليهودَ؛ أصحابَ أمره، والنصارى جُندَه... وحَمل السيف على أطفال المسلمين، وأباح المسلمات للزنا، وحَمل السيف على كلّ مَن وجد من المسلمين، ومَلك نساءهم وأطفالهم، وأعلن العبث بهم؟!!

وهو في كل ذلك مُقرّ بالإسلام، مُعلنًا به، لا يدَع الصلاة...!

فإن قالوا: لا يجوز القيام عليه... وأجازوا الصبر على هذا؛ خالَفوا الإسلام جملةً، وانسلخوا منه!

وإن قالوا: بل يُقام عليه ويُقاتَل...؛ قلنا لهم: فإن قَتل تسعة أعشار المسلمين، أو جميعَهم إلا واحدًا منهم، وسبَي من نسائهم كذلك، وأخذ من أموالهم كذلك؟!

فإن مَنعوا من القيام عليه؛ تناقَضوا، وإن أوجَبوا؛ سألناهم عن أقلّ من ذلك.. ولا نزال نُحيطهم إلى أن نَقف بهم، على قتل مسلمٍ واحد، أو على امرأة واحدة، أو على أخذ مال، أو على انتهاك بشَرةٍ بظلم!

فإن فرّقوا بين شيءٍ من ذلك؛ تناقضوا وتحكّموا بلا دليل، وهذا ما لا يجوز.. وإن أوجبوا إنكار كلّ ذلك؛ رجعوا إلى الحقّ.)

انظر: الفِصَل في المِلل والأهواء والنِّحَل.

قلتُ:

يَرحم اللهُ هذا الإمامَ الجبل، والذي لم يدَع بعد مَقاله، قالةً لقائل!

قد نصَح فجهَر.. وناظرَ فظهَر.. وحاجَّ فظفَر!

ولكنَّ العمَى عن الحقّ؛ بلاء القلب.. لا البصَر!

والله يَهدي مَن يشاء إلى صراطٍ مستقيم!

١٥

نِذارة لمُنافِقي السَّلاطين.. وبِشارة للربَّانيين الصادِعين!

في قوله ﷺ:

(إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله، لا يُلقي لها بالًا؛ يَرفعه اللهُ بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله، لا يُلقي لها بالًا؛ يَهوي بها في جهنم)..!

قال الإمام ابن عبد البرّ رحمه الله، في التمهيد:

(لا أعلم خلافًا في قوله ﷺ في هذا الحديث: "إن الرجلَ ليتكلم بالكلمة من سخط الله"..

إنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم؛ ليُرضيه بها فيما يُسخط الله عزَّ وجل، ويُزيّن له باطلًا يُريده؛ من إراقة دمٍ، أو ظلم مسلم!

ونحو ذلك مما يَنحطّ به في حبْل هواه،فيَبعد من الله ويَنال سَخطه!

وكذلك الكلمة التي يُرضي بها الله عزَّ وجل، عند السلطان؛ ليَصرفه عن هواه، ويَكفّه عن معصيةٍ يريدها؛ يَبلغ بها أيضًا من الله، رضوانًا لا يَحسبه، والله أعلم. وهكذا فسَّره ابنُ عُيينة وغيره).

قلتُ:

فلْيَعتبِر شيوخُ الطواغيت وجنودُهم وإعلاميّوهم، وليتأمَّلوا المصيرَ المَحتوم الذي يَلقَونَه؛ إن لم يَتوبوا ويَنزِعوا!

فكَم أعانوا طواغيتَهم على سَفك الدماء، التي عصمها الله!

وكم زيَّنوا لهم باطلَهم وجَورهم، حتى مرَقوا بمُباركتِهم من رِبقة الإسلام، وحظيرة الإيمان!

وكم حابَوهم ونافَقوهم وداهَنوهم، حتَّى بذَلوا دينَهم لنَيل رضاهم، بحطامٍ فانٍ من دُنياهم!

فلَئِن كانت كلمةٌ من هذا، تَهوي بهم في النار..؛ فكيف بفتاوى ومقالات، وخُطبٍ

ومُحاضرات، ومنشوراتٍ وتغريدات، ومُؤلَّفاتٍ وندوات.. قَضَوا في مثلها دهرًا، وسنين عددًا؟!!

ولَيتَهم والَوا بها، ظالمًا جائرًا.. بل طاغوتًا كافرًا!

ولكن هنيئًا هنيئًا لآخرين ربَّانيين!

جَهروا عند جائرٍ مُتجبّر، بكلمة الحقّ لا غير!

وبَذلوا من أنفسهم وأهليهم - ابتغاء وجه الله ولقائِه -؛ ما يُقيم الحقَّ ويَنصره، ويَخذل الباطلَ ويَدمغُه، ويُعلي الدينَ ويَنشره!

﴿فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]

فاللهمَّ اسْتَعملنا ولا تَستبدِل بنا!

١٦

هل يُعاوَن الحاكم الجائر.. يا شيوخ السلطان؟!

تَنزُّلًا.. خَلّوا طواغيتكم؛ جائرين ظالمين لا كافرين مُرتدّين!

فهل من مذهب السلف.. معاونة الجائر، وتثبيت عَرشه ومُلكه، ونُصرة طريقته، وتأليبه على مُخالفيه، واستباحة حُرُماتهم؟!

كما تفعلون أنتم وأشياعُكم، عَبر منابركم، وخُطبكم، وكتاباتكم؟!!

قال مُلّا عليّ القاري رحمه الله، في مِرقاة المفاتيح:

(ورُوي أن خياطًا، سأل عبدَ الله بن المبارك، عن خياطته للحُكّام: هل أنا داخل في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣]؟!!

قال: بل يدخل فيه مَن يَبيعك الإبْرة).

وقال ابن عطية رحمه الله، في المُحرَّر الوجيز:

(واحتجّ أهل العلم والفضل بهذه الآية "ولا تَركنوا ..."، في منع خدمة أهل الجور، ومَعونتهم في شيء من أمرهم، ورأوا أنها تتناول ذلك. نصّ عليه عطاء بن أبي رباح وغيره).

وقال القرطبي رحمه الله، في تفسيره:

(وقال عبيد الله بن الوليد الوصّافي: قلت لعطاء بن أبي رباح: إن لي أخًا يأخذ بقلمِه -الوالي الحاكم-، وإنما يَحسب ما يدخل ويخرج ، وله عيال، ولو ترك ذلك لاحتاج وادّان ؟!

فقال: مَن الرأس ؟ قلت: خالد بن عبد الله القَسْري -أحد أمراء بني أميّة، وكان فيه ظلم-..

قال: أما تقرأ ما قال العبدُ الصالح:

﴿ ربِّ بما أنعمتَ عليَّ فلَن أكُونَ ظهيرًا للمُجرمين﴾ [القصص: ١٧] ... ؟!

فلا يُعِنهم أخوك.. فإن الله يُعينه!

قال عطاء: فلا يَحِلّ لأحدٍ أن يُعين ظالمًا، ولا يَكتب له، ولا يَصحبه، وأنه إن فعل شيئًا من ذلك ؛ فقد صار معينًا للظالمين).

وقال ابن تيمية رحمه الله، في الفتاوى:

(وقد قال غيرُ واحد من السلف: أعوان الظلمة؛ مَن أعانهم ولو أنه لاقَ لهم دواةً، أو برَى لهم قلمًا، ومنهم من كان يقول : بل مَن يغسل ثيابَهم؛ من أعوانهم).

وفي الجملة.. فقد قال شيخ الإسلام رحمه الله:

(ولا يَحلّ للرجل أن يكون عونًا على ظلم، فإن التعاون نوعان: الأول: تعاون على البر والتقوى... والثاني: تعاون على الإثم والعدوان؛ كالإعانة على دم معصوم، أو أخذ مال معصوم، أو ضرب من لا يستحق الضرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه الله ورسوله ... فإن الإعانة على الظلم ظلم). انظر: مجموع الفتاوى.

وقال أيضًا في منهاج السنة:

(فالظالم لا يجوز أن يُعاوَن على الظلم، لأن الله تعالى يقول:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]

وقال موسى: ﴿ربِّ بما أنعمتَ عليَّ فلَن أكُونَ ظهيرًا للمُجرمين﴾ [القصص: ١٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [هود: ١١٣]

فلا يجوز أن يُعان أحدٌ.. لا وليّ أمر، ولا غيره.. ؛ على ما حرَّمه الله ورسوله).

قلتُ:

فشتّان شتّان بين ما كان عليه سلفُ الأمّة الأكابر، في معاملة الجائرين والظالمين.. وما عليه شيوخ السلطان اليومَ!

ناهيك عن كون الجائر على عهد السلف؛ كان مُقيمًا للشريعة والجهاد، حاميًا للثغور والبلاد، قائمًا بأمر المسلمين في غالب حاله!

بخلاف طواغيت اليوم، الذين تَعدّوا حدود الظلم والطغيان، إلى شُعَب الردَّة والكفران، وجعلوا من المسلمين ودينهم؛ كلأً مباحًا، للكافرين والمنافقين هنا وهناك!

ومع ذلك.. تجد من هؤلاء المنافقين، المُدّعين للعلم والدّين؛ من يؤيّدهم، ويَنحاز إليهم، بل

ويدعوهم جهارًا نهارًا؛ إلى سفك الدماء المعصومة، وانتهاك الحُرمات المَصونة!

فلا شكّ أنهم بإعانتهم؛ أجرَم.. ووِزْرهم سواء.. وعاقبتهم أطمّ!

وربُّك على كلّ شيءٍ شهيد!

١٧

هل يَسَعُنا السُّكوت اليوم؟!

قال ابن القيّم رحمه الله، في إعلام المُوَقِّعين:

(وأيُّ دينٍ، وأيُّ خيرٍ، فيمَن يَرى مَحارمَ الله تُنتهَك، وحدودَه تُضاع، ودينَه يُترك، وسُنة رسول الله ﷺ؛ يُرغَب عنها؟!

وهو باردُ القلب، ساكتُ اللسان، شيطانٌ أخرس.. كما أن المُتكلم بالباطل؛ شيطانٌ ناطق!

وهل بَلِيَّةُ الدِّين إلا مِن هؤلاء؟! الذين إذا سَلِمَت لهم مآكلُهم ورياساتُهم؛ فلا مُبالاة بما جَرى على الدِّين!

وخيارُهم.. المُتحزِّن المُتلمِّظ، ولو نُوزع في بعضِ ما فيه غَضاضةٌ عليه، في جاهِه أو مالِه؛ بذَل وتبذَّل، وجدَّ واجتهَد، واستعملَ مراتبَ الإنكار الثلاثة، بحَسب وسْعه!

وهؤلاء مع سُقوطهم مِن عَين الله، ومَقت الله لهم؛ قد بُلوا في الدنيا بأعظم بَليَّة تكون، وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب.. فإن القلبَ كلَّما كانت حياتُه أتمّ؛ كان غضبُه لله ورسوله أقوى، وانتصارُه للدين أكمَل).

قلتُ:

وهذا التشنيع على الساكتين؛ حقٌّ وواجب!

إذ إنه ليس كلّ سكوتٍ رخصة.. ولا كلّ اعتزالٍ حُجّة!

ولا يجوز للعالِم أن يُطيل صمتَه؛ دون بيان أو إنكار، والباطل أمام عينيه، ينتفش ويتفشّى، ويتعدَّى المسألة والمسألتين، إلى أصول الدين وثوابته، وفروعه ومبادئه، حتى فُرِّغ الدين عن مَضمونه، وأُفرِغ من جوهر مَكنونه، وصارت التُّهم والطُّعون؛ تُلصَق به ليل نهار!

كلّ ذلك.. ناهيك عن خوض مَن لا خلاق لهم؛ في دين المسلمين، والتلاعب بأحكام الله فيهم، والجهر على ملأ بالعقائد الباطلة، والآراء المُحرَّفة، والأقيسة الفاسدة!

كلّ ذلك يصبّ في مصلحة الطواغيت الفجرة، وتثبيت عروشهم، وتضييع شعائر الإسلام،

ونقض عُراه واحدة تلو الأخرى!

أَفَيَجوز والحالةُ هذه ؛ الصمتُ والإعراض واللامبالاة ؟!

أم يتعيّن البيانُ، وإظهار الحقّ .. ولو في بعضٍ دون كلّ – تنزّلًا – ؟!

فالصمت والسكوت؛ إنما يكون في مشهدٍ أو موقفٍ أو عارِض!

أمّا أن يصير حالةً مُستقرّة، وعادةً مُستحكِمة – خاصة مع تكاثر المحرمات الظاهرة، بل وظهور نواقض الإيمان الصارخة –؛ فهذا ليس من دين المسلمين، ولم يكن هذا حال من سكت من السابقين.. فإن صمتهم كان عارضًا في مشهد، وليس وصفًا لازمًا!

أما الصمتُ الدائم، والسكوتُ بعامّة؛ فلا هو طريقةٌ للسَّلف.. ولا هو عُذرٌ للخلَف!

ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين!

١٨

إلى شيوخ السلطان: أين أنتم من هؤلاء؟!

أخرج ابن أبي شيبة، بإسناده في مُصنَّفه:

(عن أبي جعفر قال: كان الحسنُ بن علي، يسُبُّ مروان – ولي الأمر – في وجهه، وهو على المنبر).

وذكر الغزاليّ رحمه الله، في الإحياء:

(ورُوي أن معاوية – ﷺ – حبسَ العطاء، فقام إليه أبو مسلم الخولاني فقال له: يا معاوية؛ إنه ليس من كدِّك، ولا من كدِّ أبيك، ولا من كدِّ أمك.. قال: فغضب معاوية ونزل عن المنبر، وقال لهم: مَكانكم.. وغاب عن أعينهم ساعةً، ثم خرج عليهم وقد اغتسل، فقال: إن أبا مسلم كلَّمني بكلامٍ أغضبَني ... وإني دخلتُ فاغتسلتُ، وصدق أبو مسلم: أنه ليس من كدِّي، ولا من كدِّ أبي، فهَلمُّوا إلى عطائكم).

وذكر الغزاليّ كذلك في الإحياء:

عن حطيط الزيَّات رحمه الله، لَمَّا سألَه الحجَّاج: (قال: فما تقول فيَّ ؟! قال: أقول إنك من أعداء الله في الأرض، تَنتهكُ المحارم، وتَقتل بالظِّنَّة .. قال: فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟!

قال: أقول إنه أعظم جُرمًا منك، وإنما أنت خطيئةٌ من خطاياه).

وذكر أبو يعلى رحمه الله، في الأحكام السلطانية:

عن الإمام أحمد رحمه الله، قال في المأمون: (وأيّ بلاءٍ كان أكبر من الذي كان أحدثَ عدوُّ الله، وعدوُّ الإسلام، من إماتةٍ للسُّنة ؟!

وكان إذا ذكَر المأمونَ، يقول: كان لا مأمون).

وقال الضياء المَقدسي، متحدثًا عن الحافظ عبدالغني المقدسي:

(وسمعتُ أبا بكر بن أحمد الطحان قال:

كان في دولة الأفضل بن صلاح الدين، قد جعلوا الملاهي عند درج جيرون، فجاء الحافظ فكسر شيئًا كثيرًا منها، ثم جاء فصعد المنبر يقرأ الحديث، فجاء إليه رسولٌ من القاضي يأمره بالمَشي إليه.. يقول: حتى يُناظره في الدُّف والشبابة.. فقال الحافظ: ذلك عندي حرام، وقال: أنا لا أمشي إليه، إن كان له حاجة؛ فيجيء هو.. ثم قرأ الحديث. فعاد الرسول فقال: قد قال: لا بدَّ من المَشي إليه، أنت قد بَطلتَ هذه الأشياء على السلطان، فقال الحافظ: ضرب الله رقبتَه، ورقبةَ السلطان!

قال: فمضَى الرسولُ، وخِفنا أن تجري فتنة، فما جاء أحدٌ بعد ذلك).

انظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب.

وقد أجمل ابن القيّم الكلام في هذا المقام العالي، فقال:

(قال عُبادة بن الصامت رضي الله عنه وغيره: "بايَعنا رسولَ الله ﷺ؛ على أن نقول بالحقِّ حيث كنَّا، ولا نَخاف في الله لومةَ لائم"...!

ثم علَّق ابنُ القيّم قائلًا:

(ونحن نَشهد بالله؛ أنهم وَفّوا بهذه البَيعة، وقالوا بالحقّ، وصدَعوا به، ولم تأخذْهم في الله لَومة لائم، ولم يَكتموا شيئًا منه مَخافة سَوطٍ ولا عصا، ولا أمير ولا والٍ، كما هو معلوم لَمن تأمَّله من هديهم وسيرتهم .. فقد أنكر أبو سعيد على مروان، وهو أمير على المدينة، وأنكر عبادةُ بن الصامت على معاوية، وهو خليفة، وأنكر ابنُ عمر على الحجَّاج مع سَطوته وبأسِه، وأنكر على عمرو بن سعيد، وهو أمير على المدينة!

وهذا كثيرٌ جدًّا مِن إنكارهم على الأمراء والوُلاة؛ إذا خَرجوا عن العدْل، لم يخافوا سَوطهم ولا عقوبتهم!

ومَن بعدهم: لم تكن لهم هذه المنزلة، بل كانوا يتركون كثيرًا من الحق؛ خوفًا من ولاة الظلم، وأمراء الجور). انظر: إعلام المُوقّعين.

قلتُ:

فإذا كان هذا إنكار الربّانيين على الوُلاة الشَّرعيين؛ لخروجهم عن العدل .. فكيف بوُلاة الصهاينة والصليبيين؛ الذين غاصُوا في الكُفر وسَبَحوا؟!

تم بحمد الله